الفضاء الصحراوي في رواية بين رفوف الغيب (مقاربة موضوعاتية)

إعداد

د/ رشا عبد الرؤف عبد الفتاح الحبيشي

أستاذ الأدب والنقد المشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية العلوم والآداب، جامعة نجران، المملكة العربية السعودية.

العام الجامعي: ١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م

الفضاء الصحراوي في رواية بين رفوف الغيب (مقاربة موضوعاتية)

رشا عبد الرؤف عبد الفتاح الحبيشي
قسم اللغة العربية وآدابها (قسم الأدب والنقد)، كلية العلوم والآداب، بجامعة نجران، المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني: raelhebishy@nu.edu.sa

الملخص: تحتل الصحراء مكانة محورية في الأدب العربي، إذ لا يقتصر كونها فضاءً جغرافيًا، بل تعد رمزًا يعكس الهُوية، والتحولات الاجتماعية والثقافية، والصراعات النفسية، وتعتمد تلك الدارسة على المنهج الموضوعاتي الذي يهتم بالصور الخيالية، محاولًا تجاوز المعنى الظاهر للنصوص، واللجوء للقراءة الموسعة، إلى ظاهراتية الخيال، وتسعى الدراسة إلى الكشف عن تمثلات الصحراء في رواية (بين رفوف الغيب) للكاتب السعودي محمد خالد منيف، حيث تتوزع إلى عدة محاور رئيسة، منها: الفضاء الصحراوي للاغتراب والهوية الممزقة، حيث تظهر الصحراء في الرواية بوصفها فضاء مجهول يعكس أزمة الهوية والاغتراب، إذ يعاني الفرد بين قيم المجتمع التقليدية ومتغيرات العصر الحديث، فتتحول الصحراء إلى مرآة للعزلة النفسية والاجتماعية التي تعايشها شخصيات الرواية، فهي تعبر عن ضياع الذات في بيئة متغيرة ذات وتيرة سريعة. كذلك تظهر الصحراء في هذه الرواية باعتبارها مرآة للانفصال العاطفي والنفسي، حيث يعاني البطل من أزمة نفسية تدفعه إلى العزلة، ويتحول فضاء الصحراء إلى رمز للحزن والتأمل في الذات، وتعكس الصحراء الانفصال عن المجتمع والتهميش الاجتماعي، حيث يشعر البطل بالغربة في وطنه، ويجد نفسه منفصلًا عن الواقع المحيط به. وتخلص الدراسة إلى أن التيه النفسي الذي يعانيه الفرد من فقدان الهوية والتشتت بين الانتماءات المتضاربة يجعل التنقل داخل الصحراء انعكاسًا داخليًا للبحث عن الذات.

الكلمات المفتاحية: منيف، الموضوعاتية، العزلة، الاغتراب، البحث عن الذات.

The Desert Space in the Novel Bayna Rufuf al-Ghayb (A Thematic Approach)

Rasha Abdul Raouf Abdul Fattah Al-Hebeishi
Department of Arabic Language and Literature (Literature and Criticism Section), College of Arts and Sciences, University of Najran, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: raelhebishy@nu.edu.sa

Abstract: The desert occupies a central position in Arabic literature. It is not merely a geographical space, but a symbol that reflects identity, socio-cultural transformations, and psychological conflicts. This study adopts the thematic approach, which focuses on imaginative imagery, attempting to move beyond the surface meaning of texts toward an expanded reading rooted in the phenomenology of imagination. The study aims to explore representations of the desert in the novel "Bayna Rufuf al-Ghayb" (Between the Shelves of the Unseen) by the Saudi writer Mohammed Khaled Muneef. These representations are distributed across several major axes, among them: the desert space as a site of alienation and fragmented identity. In the novel, the desert appears as an unknown expanse that mirrors a crisis of identity and estrangement, as the individual grapples with the values of a traditional society and the changes of the modern era. Consequently, the desert becomes a mirror of the psychological and social isolation experienced by the novel's characters, expressing a sense of self-loss in a rapidly changing environment.Moreover, the desert in this novel serves as a mirror for emotional and psychological detachment. The protagonist suffers a psychological crisis that drives him into isolation, and the desert space

transforms into a symbol of sorrow and self-contemplation. It reflects detachment from society and social marginalization, as the protagonist feels alienated in his own homeland and finds himself disconnected from the surrounding reality. The study concludes that the psychological disorientation resulting from the loss of identity and the fragmentation between conflicting affiliations renders movement through the desert an internal reflection of the search for the self.

Keywords: Muneef, Thematic analysis, Solation, Alienation, Search for self.

المقدمة

تُعد الصحراء أحد أكثر الفضاءات حضورًا في الأدب العربي، حيث تجاوزت كونها خلفية مكانية لتصبح عنصرًا جوهريًا يعكس التحولات النفسية، والوجودية، والثقافية، فهي فضاء للعزلة والاغتراب، وللبحث عن الذات والصراع الداخلي، ولذا تكتسب هذه الدراسة أهميتها في الكشف عن تمثلات الصحراء في الرواية العربية السعودية، ودورها في بناء البنية السردية والتشكيل النفسي للشخصيات، مع التركيز على كيفية استثمار الروائي محمد بن منيف في روايته (بين رفوف الغيب) على الفكرة المركزية (الصحراء) بوصفها رمز دلالي يعبر عن الاغتراب النفسي، والصراع الوجودي، والفقدان.

أهمية الدراسة:

تنبثق أهمية هذه الدراسة من كونها تتناول أحد أكثر العناصر الدلالية عمقًا في الرواية العربية السعودية بمنطقة نجران، وهو عنصر الفضاء الصحراوي، فلا يقتصر على كونه خلفية صامتة للأحداث، بل أصبح كيانًا فاعلًا في تشكيل البنية السردية والبعد النفسي والرمزي للشخصيات والأحداث. فالصحراء في رواية بين رفوف الغيب تتحول إلى مرآة للصراعات الداخلية، ومسرحًا لتجليات الاغتراب، والتوق إلى الحرية، والانخلاع من الواقع القاسي.

وقد ساهمت التحولات الاجتماعية والثقافية في العالم العربي – لا سيما في العقود الأخيرة – في تعميق دلالات الصحراء، حيث باتت تمثل في العديد من النصوص الروائية فضاءً للتأمل والتطهر الروحي، ومرآة لتجارب القهر، والنفي، والهوية الممزقة، وتحاول هذه الدراسة رصد تمثلات الصحراء فنيًا، وفهم علاقتها المعقدة بالذات الإنسانية التي تسعى للخلاص والبحث عن الذات المتشظية.

إشكالية البحث:

تتمحور الإشكالية الأساسية لهذا البحث حول كيفية توظيف الصحراء في رواية (بين رفوف الغيب)، ومدى تعبيرها عن العزلة والاغتراب النفسي والوجودي. فهل تبقى الصحراء مجرد مكان، أم أنها تتحول إلى عنصر سردي فاعل في بناء الشخصيات والأحداث؟ وكيف تعكس دلالاتها التحولات النفسية والاضطرابات الداخلية للأفراد؟

التساؤلات البحثية:

للإجابة على هذه الإشكالية، يسعى البحث إلى معالجة التساؤلات التالية:

١. كيف يتم توظيف الصحراء في الرواية العربية الحديثة (بين رفوف الغيب) نموذجًا باعتبارها فضاء رمزي؟

٢. ما علاقة الصحراء بتجربة الاغتراب النفسي والوجودي في النصوص الروائية؟

٣. كيف يتجلى الصراع بين العزلة والبحث عن الذات في فضاء الصحراء؟

٤. ما مدى تأثير الصحراء في بناء الشخصية المحورية وتحولاتها النفسية؟

٥. كيف يعكس المنهج الموضوعاتي دلالات الصحراء في الرواية؟

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى:

- تحليل التوظيف السردي للصحراء في الرواية العربية السعودية (بين رفوف الغيب) نموذجًا.
- الكشف عن الأبعاد النفسية والوجودية التي تعكسها الصحراء في النص الروائي.
- تطبيق المنهج الموضوعاتي في دراسة دلالات الصحراء وتحولاتها الرمزية داخل السرد.

• تحديد العلاقة بين الصحراء وحالات العزلة، الاغتراب، والفقدان في الرواية.

منهج البحث:

يعتمد البحث على المنهج الموضوعاتي، الذي يركز على دراسة الموضوعات المتكررة داخل النصوص الأدبية، وتحليل كيفية تشكلها وتطورها داخل السرد. ومن خلال هذا المنهج، سيتم استكشاف كيفية تحول الصحراء من خلفية مكانية إلى رمز نفسي وفلسفي يعكس تجربة الشخصية الروائية.

الدراسات السابقة:

إن دراسة الفضاء الصحراوي في الرواية العربية السعودية في منطقة نجران يتسم بالندرة والقلة نوعًا ما، ولكن هناك العديد من الدراسات التي تناولت حضور الصحراء في الرواية العربية بصفة عامة، ومن أبرزها:

- صيفي، عفاف، عشور، & عمر. (٢٠٢٥). الصحراء في الرواية الجزائرية الحديثة بين الواقعي والعجائبي. اللّغة العربية، ٢٧(١)، ٢٥٧-٢٧٤.

تتناول هذه الدراسة حضور الصحراء في الرواية الجزائرية الحديثة من منظورين، منظور خارجي يمثله روائيون لا ينتمون إليها، فيرون فيها فضاء عجائبيا يعالجون من خلاله بعض الإشكاليات عن طريق التأمل الفلسفي، ومنظور يمثل رؤية داخلية يمثله جيل جديد من الروائيين ينتمي جغرافياً إلى الصحراء ويرى فيها واقعًا معيشيًا يتم طرح قضاياه وفق رؤية واقعية.

- العربي، & عبد القادر. (٢٠٢٣). جماليات توظيف تيمة الصحراء في رواية" الخابية" لجميلة طلباوي. العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، ٧(١)، ٥٠٣-٥١٣.

تتناول هذه الدراسة حضور الصحراء في إحدى الروايات الجزائرية للكاتبة جميلة طلباوي، بوصفها أحد النصوص النسائية التي تركز على المفارقة بين الصحراء باعتبارها فضاء شاسع يسع الجميع، والجانب الخفي لقيمة الصحراء إذ تمثل الملاذ للأمن والسلام وراحة البال.

- بلقاسم زوقار، & علي ملاحي. (٢٠٢٠). تمثّلات الصحراء في الرواية النسوية السعودية رواية غواصو الأحقاف لأمل ناصر الفارّان أنموذجا. الخطاب، ١٥(٢)، ١٧٥-٢٠٠.

انتهت هذه الدراسة إلى الروائية السعودية أمل الفاران جسدت موضوعها داخل النص بهدوء كبير، هدوء الصحراء، بلا عناوين فصول، وبلا مقدمات فصول، وعبرت الرواية عن ذاتها التي ترتكز على انكسار الحلم لدى البطلة، وتؤكد انشطار شخصية البطلة إلى شخصيات أخرى أحياناً بين الحلم واليقظة أضفى أبعاداً نفسية ثرية للنص، إضافة إلى تشظي الكثير من الأحداث الصغيرة داخل الرواية.

- سروة، يونس أحمد. (٢٠٢٠). دلالات الصحراء في رواية (البحث عن المكان الضائع). آداب الرافدين، ٨١، ٣٩٩-٤١٦.

تؤكد هذه الدراسة على تعدد الدلالات التي ارتبطت بصحراء إبراهيم كوني في روايته، فضلًا عن كونها المأوى والملجأ، فهي بمثابة مصدر الطمأنينة والراحة حيث يرى فيها الوطن، كذلك تعبيرها عن دلالات السفر والتيه والترحال والتنقل التي احتفظت بها مرجعيات الأذهان، وارتبطت لديه بالبحث عن دلالة الحقيقة المؤجلة.

وعلى الرغم من تعدد هذه الدراسات، فإن البحث الحالي يركز على تمثلات الصحراء في الرواية العربية السعودية في منطقة نجران، ويسعى إلى تقديم مقاربة جديدة تركز على الفكرة المركزية (الصحراء في رواية بين

رفوف الغيب) من منظور الاغتراب النفسي والوجودي، مع تطبيق آليات المنهج الموضوعاتي ليفتح المجال أمام قراءة أعمق لدلالات الصحراء في الأدب العربي.

هيكل البحث

ينتظم في مقدمة ومدخل ومبحثين، حيث يتناول المدخل تعريفاً موجزًا بالنقد الموضوعاتي وأهميته في الدراسات الأدبية، ثم جاء المبحث الأول بعنوان الصحراء فضاء العزلة والفراغ النفسي، يليه المبحث الثاني بعنوان الصحراء والبحث عن الذات، ثم الخاتمة وتتضمن أهم النتائج وأبرز التوصيات، ويختم البحث بثبت المصادر والمراجع.

مدخل

النقد الموضوعاتي وأهميته في الدراسات الأدبية

إن تطبيق النقد الموضوعاتي والمقاربة في التقصي عن النقاط الأساسية والمحورية التي يتكون منها النص الأدبي، والكشف عن التحولات التي طرأت عليه من خلال الانتقال من مستوى تجربة معينة إلى تجربة أكثر اتّساعا وشمولية، ويتمثل في تقاطع الرؤى الفلسفية والنقدية بين التأويلية والوجودية والظاهراتية بهدف دراسة النصوص من زوايا متعددة ومتشابكة المفاهيم تسعى للكشف عن الثيمات المتكررة الرمزية فيها،(١) ولهذه الغاية يمكن افتراض مقاربة التردد الإحصائي للموضوعاتي من خلال عملية التكرار باعتبارها طريقة تسمح بالإلمام المعجمي أو السيميائي بالموضوعات الأساسية والثانوية في النص، مما يسهم في بيان معالمه الظاهرة أو الخفية، وإدراك مفاتيح مكوناته، بوصفها علامة على قابليته للفهم والتأويل، ولكن الاكتفاء بحصر القوالب التعبيرية والأشكال المعجمية المتكررة عند مؤلف النص يتنافى مع الخاصية الابتكارية الموضوعاتية، لذا التكرار لا يتعدى كونه علامة، لأنه ليس المعيار الوحيد الذي يكشف عن الموضوعاتية التي تحمل دائمًا قيمة دلالية تتمثل في هندسة موقعه.(٢)

ويهدف النقد الموضوعاتي إلى استقراء الأفكار والعناصر الموضوعاتية الأساسية، في منطقة الواعي واللاواعي للأعمال الأدبية، وتحديد محاورها الدلالية ومضامينها وعلاقاتها بأشكالها في تحليل يتمازج فيه الموضوعي بالذاتي لكل القيم والسمات الموضوعية المهيمنة التي تتحكم في مضمون بنية

---

(١) ينظر، وغيلسي، يوسف. مناهج النقد الأدبي: مفاهيمها وأسسها وتاريخها وروادها وتطبيقاتها العربية، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر،ط١، ٢٠٠٧م، ص١٤٧.

(٢) ينظر، علوش، سعيد. النقد الموضوعاتي. المغرب: شركة بابل للطباعة والنشر، ١٩٨٩م، ص٧.

المضمونية النص، وتظهر الثيمات الموضوعاتية الأساسية والثانوية بوصفها مرسل يسمح بالولوج داخل اتجاهات الفضاء الداخلي للنص، في انتظار حيوي ومجامع منسجمة ومرنة يحكمها قانون التشاكل والتضاد والثبات والتحول والانفتاح والانغلاق والمباشرة والضمنية.(١)

وهذا المعيار حاسم لأن القراءة الموضوعاتية لا تكون تقريرًا عن مواضع التكرار والتواتر فحسب، وإنما تسعى لرسم شبكة من الترابطات الدالة والمتواترة، والمعنى لا ينبثق من تكرارها فقط، وإنما ينبع من مجموع الترابطات التي يرسمها لها النص الأدبي، وانطلاقًا من هذا المفهوم العام فإن كل ناقد يوجه قراءته بحسب حدسه الخاص به، حيث يختار الأفكار والعناصر الموضوعاتية التي سيعلق عليها.(٢)

ويعد المنهج الموضوعاتي مركز الثقل في العمل الأدبي، وسلطة المعنى والقيمة، ويشرح القرار المتزن للمحلل الذي ينتقي المضامين المكررة في النص، ويحدد مراتبها؛ وذلك لأنه إدراك معني بكل معاني الكلمة: فهو تجسيد ثلاثي، لأن المنهج الموضوعاتي يتضمن تعميمًا، وتواصلًا خارجيًا، وتواصلًا تناصيًا، فهو ينظر للتكرار لتعميم الرؤية الموضوعاتية على المتغيرات، ويتواصل خارج النص مع واقع الكاتب، ويتواصل تناصيًا؛ لإمكانية وجود النص في نصوص أخرى. إنه نقطة التقاء مجموع العلاقات التي يشملها النص، واختزلها القارئ، وللوقوف على الجانب الذاتي "الانطباعي" المكون للفكرة الموضوعاتية، يجب البحث داخل الحقول النصية الغامضة؛ لأن المدلولات لا توجد إلا بطريقة إجمالية، فجميع المحددات الموضوعاتية نسبية،

---

(١) ينظر، علوش، سعيد. النقد الموضوعاتي ، ص٨.

(٢) ينظر، بارجاس، دانيال. مدخل إلى المناهج النقدية في التحليل الأدبي. تحرير وآخرون: بيار بربريس، بيار مارك، مرسال مريني، جيزال فلنسي. ترجمة الصادق قسومة. الرياض: جامعة الإمام، ١٤٢٩ هـ، ص٢٥٢.

لذلك يجب على الناقد أن يدرس النماذج المختلفة ويحللها بقصد الوصول إلى مركز الموضوع، وتحديد قيمته وبلاغة التكرار داخل النص.(١)

ويهتم النقد الموضوعاتي بالعلاقات المزدوجة، حيث التفاعل المتبادل بين الذات والموضوع، بين العالم والوعي، بين المبدع وعمله الأدبي، ولا شيء يُظهر هذا التوجه النقدي أفضل مما يظهره الرجوع الدائم إلى مفهوم الخيال الذي يُتيح لأتباع هذا المنهج أن يبتعدوا عن تصور النفس الإنسانية تصورًا وظيفيًا، وأن يجعلوا من الخيال ملكة، استنادًا لرأي باشلار بأن الخيال حركة منظمة.(٢)

وتتشاكل مفاهيم: الخيال والحلم والحضور مع بعضها البعض في تكوين مفهوم النقد الموضوعاتي، فمن واقع الحلم يسعى الشاعر لتطوير إشكالية الحضور، ومن واقع الحضور يستمد الحلم مادته الأولية لبناء الخيال، ويتمثل الخيال فيما ينسجه من علاقات بين الموضوعات الإبداعية، وما ينشره عنصر موضوعاتي ما من قيم متعددة، ولعل أهمية الخيال تكمن في (نمو العلاقة)، فهي التي تحدد خصوصية الإبداع، ومهمة الناقد الموضوعاتي الوقوف على تلويناتها، والغوص في الشبكات الخيالية، واختيار بناء داخلي لآفاقها؛ لأن التجربة الإبداعية لا ترتبط بمحتواها، وإنما بترتيب هذا المحتوى وتنظيمه(٣).

ويهتم النقد الموضوعاتي بالصور الخيالية، لمحاولة تجاوز المعنى الظاهر للنصوص، واللجوء للقراءة الموسعة، وعلى الناقد أن يقتنص الصورة الخيالية في نشأتها ذاتها خلال الكتابة، وأن يعيشها في مآلها اللاحق، واللجوء

---

(١) ينظر علوش، النقد الموضوعاتي، ص ٣٢، ٣٣.

(٢) ينظر، بارجاس، دانيال. مدخل إلى المناهج النقدية في التحليل الأدبي، ص ٢٣١.

(٣) ينظر، حسن، عبد الكريم. المنهج الموضوعي. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٠م، ص٦١-٦٤

إلى ظاهراتية الخيال، يعني دراسة ظاهرية الصورة الشعرية حين تنتقل إلى الوعي بوصفها نتاج مباشر للقلب والروح الإنسانية.(١)

ويصف باشلار الصورة الشعرية بالوعي الساذج، وأن الشعر هو ظاهراتية الروح أكثر من كونه ظاهراتية العقل، ولهذا يجب جمع الوثائق حول موضوع الوعي الحالم،(٢) ولابد من التمييز بين الموضوعاتية والمنهج السيكولوجي إذ أن "القراءة في كليهما تنطوي على مهمة إحضار المعنى إلى النص أو ما يمكن تسميته بتضخيم المعنى، فكلتا القراءتين مضخمة للمعنى، وذلك على عكس القراءة الفيلولوجية التقليدية التي كانت تهتم بتقليصه"(٣)

ويمكن إطلاق اسم ثيمة على بنية ثابتة من السمات الدلالية المتواردة داخل نص ما، والقابلة لمختلف المعجمات، ومن الواجب تحديد هذا التعريف، وذلك بوصف هذه السمات وهذا المتن وهذه المعجمات، ثم بعد ذلك يتم طرح الأسئلة حول العلاقة المتداخلة بين الثيمات فيما بينها وحول تكوين النماذج الثيماتية أو الموضوعاتية.(٤)

والشرط الذي يجب أن يتوفر لتحقيق هذا الانغماس التام، -الذي وحده يمكن الدارس من إجراء عملية "التمزيق" وإعادة البناء – هو القدرة على التعاطف مع النص والإعجاب به؛ لأنه يحقق إمكانية الالتحام بالنص والاستماع إلى نبضاته وهمساته الدقيقة، ثم القبض عليها من أجل بناء تصور

---

(١) ينظر، باشلار، غاستون. جماليات المكان. ترجمة غالب هلسا. ط٢. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٤م، ص ١٧، ١٨.

(٢) ينظر، المرجع نفسه، ص٢٠.

(٣) حسن، عبد الكريم. نقد المنهج الموضوعي، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، لبنان، ع٤٤،٤٥، أبريل ١٩٨٧م، ص٣٩– ٤٨.

(٤) ينظر، راستيي، فرانسوا. فنون النص وعلومه. ترجمة إدريس الخطاب. ط١. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ٢٠١٠ م، ص٢٣٨.

واضح ودقيق لعناصره الموضوعاتية التي شكلت نواة انبثاقه، وتحولاتها المستمرة التي صنعت بناءه الكلي المنظم والمنسجم "الفكرة الموضوعاتية"، فالمعنى لا يمكن تنشيطه إلا إذا تمثله الناقد وعاشه من جديد.(١)

وبناء على ذلك فإن المنهج الموضوعاتي يقوم على عدم الإحالة إلى خارج النص الأدبي، سواء تعلق الأمر بالمؤلف أو بالمجتمع، كما أنه في الوقت نفسه يطالب بالتعامل مع النص باعتباره كائناً حيًّا مكتملًا بذاته ومستقلاً عن غيره، ومن البديهي أن يكون النص نتاجًا تاريخيًّا وفكريًا، ولكن قبل الربط بين مستوى وآخر، يجب أن الربط بالبناء الكامل لكل هذه المستويات، وفي ضوء ذلك يمكن للقراءة الموضوعاتية أن تكون ضمن إطار قصديتها واستقلاليتها وتلاحمها. ومن المهم التأكيد على أن إعطاء العلاقة بين النص والظروف الخارجية عنه اعتبارًا في الدراسة الموضوعاتية لا يعني أن الانشغال بها بدلًا من الانشغال بالنص.(٢)

ومهمة النقد الموضوعاتي الكشف عن المعنى الخفي للعمل الإبداعي، فالمعنى موجود، ولكنه ضمني، وعلى الناقد أن يزحف به نحو الضوء، فهو حاضر ولكنه خفي، وعلى الناقد أن يظهره. وكلما أوغل النص الإبداعي في غموضه، كان على الناقد أن يتوغل في قراءته ليتمكن من فهم النص والسيطرة عليه. وتتجلى (محنة المعنى) في عمق الإبداع الذي يتطلب عمق النقد، وكل ذلك ينعكس على علاقة الشكل بالمضمون.(٣)

إن القراءة المجهرية من الإجراءات الأساسية التي يقوم عليها المنهج الموضوعاتي، وهي تركيز التحليل الأدبي على جزء أو أجزاء صغيرة في النص الأدبي، فقد يكون هذا الجزء: نقطة، فاصلة، حرفا، كلمة، جملة، فقرة،

---

(١) ينظر، حسن،. المنهج الموضوعي، ص١٠٣.
(٢) ينظر، المرجع نفسه، ص١٠٠.
(٣) ينظر، حسن،. المنهج الموضوعي، ص٩٠.

مشهدًا، حدثًا، أو غير ذلك، مما يدخل في تكوين عالم النص وبنائه. وهو عمل يدخل في صميم مفهوم الموضوعاتية، التي هي النواة المركزية التي ينبثق منها النص الأدبي، فينمو بفضل التعديلات، حتى يكتمل عالمًا خياليًا جميلًا.(١)

وبناء على الاهتمام "بالقراءة المجهرية "لم يعد المنهج الموضوعاتي يخسر في التركيز على العناصر الدقيقة في العمل الأدبي بسبب غايته الشمولية، بل ربح بسبب جمعه بين الرؤية الشمولية والقراءة المجهرية في حركة التحليل داخل العمل الأدبي، إضافة إلى دراسة العناصر التقليدية؛ مثل دراسة الكاتب والسياق والمعنى والشكل العام وغيرها- حسب العلاقات السببية، فيُنظر إلى بعضها في صلته ببعضها الآخر.(٢)

ويقوم التكرار في المنهج الموضوعاتي على اعتبار أن الوحدات النصية التي يتم تواترها في النص ذات أهمية كبيرة ودور فعال لتوجيه الناقد نحو موضوعاتية النص. ويمكن اعتبار أن بعض العناصر الموضوعاتية تعاود نفسها في العمل الإبداعي. و"الاطراد" هو المقياس في تحديد موضوعاتية النص، فالموضوعات الكبرى في عمل أدبيّ ما هي إلا الموضوعات التي تشكل المعمارية غير المرئية لذلك العمل الأدبي (الفكرة الموضوعاتية) ولهذا فهي تزود الناقد بمفاتيح تنظيم النص وهيكلته. والعناصر الموضوعاتية في النص هي التي تتطور على امتداد العمل الأدبي، وتقع عليها الأعين بغزارة استثنائية.(٣)

---

(١) ينظر، المفلح، عبدالله بن محمد. "الحب والحرب في رحلة البحث عن الخلاص: دراسة موضوعاتية في ديوان "سقط سهوا"." جامعة عين شمس – كلية الألسن، ع ٦١ يناير، ٢٠١٤ م: ٦٤ –١١١.

(٢) ينظر، بارجاس، مدخل إلى المناهج النقدية في التحليل الأدبي، ص٢٤٠.

(٣) ينظر، حسن،. المنهج الموضوعي، ص٤١.

إن تسليط الضوء على أهمية دراسة التكرار في النقد الموضوعاتي يتمثل في كونه مدخلًا لفهم النص الروائي في مستوييه: الجزئي (البينة الصغرى) والكلّي (الفكرة الكلية)، وذلك من خلال تفكيك البنية اللغوية للنص إلى وحدات دلالية متكررة تكشف عن (البنيات المهيمنة) في العمل الأدبي، إذ يرتبط الطرح السابق بموضوع تمثلات الصحراء في الرواية العربية الحديثة (رواية بين رفوف الغيب نموذجًا)، حيث لا يمكن الكشف عن دلالة الصحراء باعتبارها رمزًا متحوّلًا إلا من خلال تتبّع صورها وكلماتها وتكراراتها عبر النص الروائي. فالصحراء لا تظهر دائمًا بصيغة واحدة، بل تأتي في صور متنوعة مثل: (الجفاف، التيه، الريح، اللهيب، السكون، الفراغ، الهديل، الغربان، الاحتراق، الامتداد، وهي جميعها كلمات مشحونة دلاليًا تُكرَّر وتتحوّل لتؤسس لحقل معجمي يُفصح عن الطابع الرمزي والموضوعاتي العميق للصحراء.

وباستخدام آليات مثل التكرار، والتواتر، والتقابل، والتوازي، يمكن تحليل كيف تُعاد صياغة الثيمات المركزية مثل (العزلة، الاغتراب، والبحث عن الذات، في سياقات مختلفة، مما يسمح بتمييز التحولات الرمزية للصحراء داخل النص الواحد، أو عبر مقارنة عدة نصوص. وهو ما يثري القراءة الموضوعاتية ويمنحها بعدًا تأويليًا عميقًا.

وعليه، فإن هذه الرؤية المنهجية لا تُعد أداة تقنية فحسب، بل هي جوهر في قراءة النصوص الروائية التي جعلت من الصحراء مركزًا رمزيًا للتمزق النفسي، والقلق الوجودي، والتحول الداخلي، كما سيتم تحليل دلالات الصحراء عبر مشاهد الشموع، الغربان، الصديق، والسماء الملتهبة. فدراسة التكرار بهذا الشكل تسهم في بناء صورة كلية للنص الأدبي، تكشف عن الثيمات العميقة المضمرة خلف التراكيب اللغوية والصور المتكررة.

المبحث الأول

الصحراء فضاء العزلة والفراغ النفسي

١.١.هوية الصحراء في رواية بين رفوف الغيب

لقد دخلت الصحراء باعتبارها ثيمة جديدة في مجال الرواية إذ تعد بمثابة فضاء أوسع للتأملات يسمح بتأويل أو إعادة قراءة معضلات وجودية طرحها فضاء المدينة ولم يعد قادرًا على تبرير أو تفسير وجودها، سواء من طرف الروائيين الذين اتخذوا من هذا الفضاء ملاذاً للهروب من المدينة أو من طرف أبناء الصحراء (جيل جديد من الروائيين) الذين اتخذوا منها معادلًا موضوعيًا لمعالجة قضايا واقعهم.[١]

وتعد رواية بين رفوف الغيب أحد الأعمال السردية الحديثة في الأدب العربي السعودي بمنطقة نجران، وهي أول إصدارات المؤلف محمد بن منيف[٢]، إذ تدور أحداث الرواية بين الشخصية المحورية (محمد) الذي يعاني من مرض نفسي إثر وفاة صديقه المقرب (عليّ) ،وشخصية صديقه (هادي) الذي تعرّف عليه في لندن ولكنه يختفي فجأة فيشعر البطل بالخوف والقلق من ضياعه هو الآخر، وتتعقد الأحداث والمشاهد بين السعودية وبريطانيا، فيرتحل السارد إلى لندن، في رحلة ابتعاث واستشفاء، وعن طريق تقنية الاسترجاع الزمني يسترجع الماضي بنجران والحاضر بلندن

---

(١) ينظر، صيفي، عفاف، عاشور، عمر. الصحراء في الرواية الجزائرية الحديثة بين الواقعي والعجائبي، اللغة العربية، منصة المجلات العلمية الجزائرية، مج ٢٧، ع١، ٢٠٢٥م، ص ٢٥٧-٢٧٤.

(٢) محمد بن خالد بن منيف، أحد أبناء منطقة نجران بجنوب السعودية، صدرت الرواية عن نادي نجران الأدبي الثقافي، ٢٠١٧م. استرجعت بتاريخ ١١/ ١٠/ ١٤٤٦هـ https://www.adabinajran.com/route.php?module=n&action=s&id=119

وويلز والرياض، والإطار الذي يربط بينها جميعًا أو العالم الواسع[١] الذي يشمل مجموع الأحداث الروائية هو الفضاء الصحراوي، حيث تظهر مشاهد الصحراء في حالة اللاشعور والغياب عن الوعي.

١.٢. العزلة النفسية والاغتراب في رواية بين رفوف الغيب

يُعد الاغتراب والعزلة النفسية من أكثر الثيمات تعقيدًا في الأدب العربي، حيث يعكسان حالات نفسية واجتماعية تعاني منها الشخصيات الروائية بسبب صراعاتها الداخلية أو الضغوط الخارجية. وتتجلى هذه المفاهيم بوضوح في الرواية السعودية، خاصة في سياق الصحراء، التي تعد رمزًا قويًا للعزلة والتيه النفسي، وترتبط الصحراء بمفهوم العزلة النفسية التي يعانيها الأفراد بسبب الألم النفسي أو الفقد العاطفي أو عدم التكيف مع الواقع، فالصحراء في الرواية العربية ليست بيئة طبيعية فحسب، بل تتحول إلى فضاء نفسي يعكس انفصال الأفراد عن مجتمعهم وعن ذواتهم الداخلية.

والعزلة النفسية هي حالة شعورية يشعر فيها الفرد بالانفصال العاطفي أو الاجتماعي عن الآخرين، سواء أكان ذلك طوعيًا أم قسريًا، فقد يكون السبب ناتجًا عن تجربة شخصية مؤلمة، مثل فقدان شخص عزيز، أو عن شعور بعدم الانتماء إلى المجتمع. وتتمحور الصحراء في الرواية في صور متعددة تمثل مراحل الانفصام النفسي الذي يمر به بطل الرواية (محمد) إثر فقده لصديقه (علي) فأصيب بانهيار عصبي أسفر عنه انفصام في شخصيته خوله بأن يكون محمدًا وعليًا في الوقت ذاته.. متقمصًا شخصية (علي) وكأنه موجود في الواقع.[٢] حيث ينعكس الفراغ النفسي والانشطار الذاتي الذي

---

(١) ينظر، لحمداني، حميد. بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ص٦٣.

(٢) ينظر، منيف، محمد خالد، رواية بين رفوف الغيب، نادي نجران الأدبي الثقافي، السعودية، ط١، ٢٠١٧م، ص١٢٥، ١٢٦.

يعانيه البطل في اتساع الصحراء وامتدادها الذي يبدو بلا نهاية، مما يجسد إحساسه بالوحدة وانكساره إثر فقدانه لصديق عمره.

ويُشير عالم النفس إريك فروم (Erich Fromm) إلى أن الاغتراب أكثر الحالات النفسية التخريبية التي تنبع من فقدان الشعور بالهوية وأساسها علاقة الفرد بذاته(١)، مما يؤدي إلى إحساس عميق بالفراغ والضياع، يتمثل في إحساس الإنسان بالغربة عن مجتمعه أو عن ذاته الداخلية، ويصبح مغتربًا عندما يفقد علاقته الجوهرية مع ذاته أو مع محيطه الاجتماعي والثقافي. ويمكن القول "بأن الرواية العربية المعاصرة لا تخلو- في معظمها من محتوى اغترابي، بأشكاله المتعددة: نفسيًّا، ومكانيًّا، وزمانيًّا، وازدواجيًّا بالجمع بين أكثر من ثيمة اغترابية."(٢)

١.٣.تمثلات الصحراء بين العزلة النفسية والاغتراب

تعكس رواية بين رفوف الغيب مجموعة من الثيمات الموضوعية المتمثلة في توظيف الصحراء بوصفها فضاءً يعكس العزلة والاغتراب النفسي، حيث تعاني الشخصية الرئيسة من فقدان الذات والتيه بين الماضي والحاضر، والانشطار بين الانتماء والرفض.

أولاً: ثيمة الصحراء والشموع

تتمثل الصحراء في أول ظهور لها بالرواية باعتبارها مكان يعكس الوحدة الداخلية، حيث تمتد مساحات الصمت والفراغ بنفس امتداد الرمال وغياب الزمان الواقعي، إذ يحكي الحدث بقوله: " شعرت بشعور غريب للغاية.. فقد ازداد خفقان قلبي بشكل متسارع! .. فباغتتني القشعريرة

---

(١) ينظر، فروم، إريك، الهروب من الحرية، ترجمة محمود الهاشمي، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط١، ٢٠٠٩م، ص١٥٨.

(٢) شعبان، عادل هنداوى. تجليات الاغتراب في رواية الحب في المنفى لبهاء طاهر. فيلولوجى: سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية، ٢٠١٧م، ٣٤.٦٧: ٦٥-٨٦.

بالالتفاف بجسدي!، وكأني بالصوت قد ابتعد والملعب قد اختفى من أمامي تمامًا وذلك في وهلة قد أقول إنها ثوانٍ معدودة فقط.. رأيت منظرًا لصحراء شاسعة تحتوي على شموعٍ لا يمكن حصرها منتشرة على أرض تلك الصحراء.. وما إن أخذت إلا والشهقة تلي أنفاسي! .. وأجزاء الملعب قد عادت وصوت الصخب قد عاد مجددًا..." (١)

يبدو من النص السابق أن هناك ارتباطًا رمزيًا بين الصحراء والشموع، ويمكن تحليل هذه الثيمة من خلال بعض التفسيرات الممكنة لهذا الترابط:

١. الصحراء رمز للعزلة والفراغ الوجودي

- تمثل الصحراء الامتداد اللامحدود والفراغ، حيث يجد الإنسان نفسه في مواجهة مباشرة مع ذاته.
- تعكس الصحراء الاغتراب النفسي، الذي صوره الروائي بوصفه مكان للعزلة والتأمل الروحي.

٢. الشموع رمز للأمل والهشاشة

- ترمز الشموع إلى الضوء وسط الظلام، أي إلى الأمل في مواجهة العزلة، تمامًا كما تمثل الصحراء قسوة الحياة لكنها تحتضن لحظات من التأمل.
- في السياقات الروحية، يمكن أن ترمز الشموع إلى الزهد والتجربة الصوفية، وهو ما يرتبط بتجربة الكاتب عند حديثه عمن يعتنقون (الزرادشتية) ولقائه مع الطالب الأذربيجاني ورسالته عن الطقوس المتعلقة بالتطهير (٢).

---

(١) منيف، بين رفوف الغيب، ص٣٢، ٣٣.

(٢) ينظر، منيف، بين رفوف الغيب، ص٣٢.

٣. الصحراء والشموع في الأدب والفن

- قد ترمز الشموع وسط الصحراء إلى محاولة الإنسان إيجاد معنى لحياته وسط العدم.
- المشهد الرمزي لشمعة تضيء في وسط صحراء شاسعة قد يعكس حالة نفسية بين الأمل واليأس، بين التنوير والضياع.

ثانيًا: الصحراء والمطر

تعكس رواية بين رفوف الغيب عدد من الثنائيات الضدية المتمثلة في الظواهر الطبيعيّة التي تلعب دورًا هامًا في حياة الإنسان، لأنها تظهر العلاقات القائمة بين الموجودات، والثنائيّة هي القول بزوجية المبادئ المفسرة للكون، مثل ثنائية الأضداد وتعاقبها أو ثنائيّة الواحد والمادة أو ثنائية الواحد وغير المتناهي عند الفيثاغورثيين، أو ثنائيّة عالم المثل وعالم المحسوسات عند أفلاطون(١)، وتتطلب الثنائيّة وتستدعي وجود طرفين باختلاف علاقتهما أو اتفاقها، وإن لم يتواجد ذلك الطرف الآخر يفقد هذا اللّفظ سمته.(٢)

وتتجلى الثنائية في تجربة فقدان الصديق والانعزال النفسي، حيث يجد البطل نفسه محاصرًا بين ذكرياته في الماضي وبين واقع لا يمنحه فرصة للانتماء، ومن تلك المشاهد المتناقضة في وصف الصحراء قوله: "ها هي ذي الصحراء قد عادت، وها هو ذا النبض يتسارع مجددًا، تجمدت كل المتحركات من حولي وكأني أرى الصحراء هذه المرة وهي ممطرة، والبرق يحف أطرافها! والشموع ما زالت على حالها، فلم يطفئها المطر رغم

---

(١) ينظر، صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م، ج١، ص ٣٧٩، ٣٨٠.

(٢) ينظر، الديوب، سمر، الثنائيات الضدية بحث في المصطلح ودلالته، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، سوريا، ط١، ٢٠١٧م، ص١٥.

غزارته!"[١]

تجمع هذه الصورة بين العديد من المتناقضات، إذ تصور مشهدًا رمزيًا عميقًا يمكن تحليله وفق الثيمات الموضوعية المتكررة التي تظهر في النص، مع التركيز على التجربة الإنسانية العميقة للراوي التي تعكسها. وفي هذا السياق، يمكن استظهار ملامح التناقض في هذه الصورة عبر العناصر الآتية:

١. التناقض بين الجفاف والخصب (الصحراء والمطر)

- الصحراء ترتبط تقليديًا في الأدب العربي بالقحط والجدب، والعزلة، والفراغ الوجودي، والبحث عن المعنى.
- المطر معادلًا موضوعيًا للخصوبة والتجدد والحياة، وهو عنصر متعارض مع طبيعة الصحراء.
- اجتماع المطر مع الصحراء يخلق مفارقة دلالية تعبر عن لحظة استثنائية أو تحول داخلي في الإنسان، حيث يُدمج بين الجفاف الروحي والتجدد العاطفي.

ويمكن القول بأن الروائي عبر بالصحراء لتمثل الشخصية في حالة التيه، بينما جعل المطر يمثل لحظة الخلاص أو الإلهام، وهذا التناقض يُعد إشارة إلى حالة روحية مركبة تجمع بين الألم والخلاص.

٢. التناقض بين القوة والضعف (البرق والشموع)

- البرق قوة كونية، عنيفة ومفاجئة، وهو معادلًا موضوعيًا للقوى العليا.
- الشموع – رغم ضعفها– تمثل النور الداخلي، الإيمان، والتحدي، وهي أكثر ثباتًا في هذا المشهد من البرق العابر.
- وتأتي المفارقة في النص من كون الشموع، وهي الأضعف ظاهريًا، تبقى

(١) منيف، بين رفوف الغيب، ص ٤١.

مشتعلة رغم المطر، مما يجعلها رمزًا للثبات رغم العواصف.

ويلمح السارد في هذا النص إلى مدى تأثره بالرواية البوليسية (جرائم الأبجدية) التي كان يقرأها البطل قبل تصوير مشهد الصحراء وفيها: حديث الضابط مخاطبًا صديقه بأن " حوادث الطرق تحدث قضاء وقدر ولا يمكن منعها، أما جرائم المجرم المجنون الأبجدية فيمكن وقفها. أنت تحاول الهروب من المعركة يا صديقي."(١)

فالبرق يمثل قوى الطبيعة العاتية أو الأقدار القاسية، بينما الشموع تعكس القدرة على المقاومة والصمود، وهو ما يطلبه في عقله الباطن من صديقه (علي) أن يصمد ويقاوم المجرمين الذين اغتالوه، وتتكرر هذه الثنائية حين يكون الأمل صغيرًا لكنه أقوى من العوامل الخارجية التي تحاول إطفاءه.

٣. التناقض بين المتوقع وغير المتوقع (المطر الذي لا يطفئ الشموع)

- التوقع الطبيعي هو أن المطر يطفئ الشموع، لكن العكس يحدث في هذه الصورة، مما يولد إحساسًا بـــخرق المعتاد.
- يرمز هذا إلى قوة الروح البشرية أمام قسوة الواقع، حيث تبقى الشموع مضاءة على الرغم من قوة الظروف المعاكسة.
- يمكن قراءة هذا المشهد على أنه تحرر من القوانين الطبيعية التقليدية، مما يمنحه بعدًا أسطوريًا أو روحانيًا.
- يعكس هذا التناقض ثنائية الصراع بين اليأس والأمل، والتي تظهر في الأدب العربي والغربي عبر الشخصيات التي تصارع القدر لكنها لا تنهار.

---

(١) كريستي، أجاثا، الجرائم الأبجدية، ترجمة علي الجوهري، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ١٩٩٩م، ص٧١.

ثالثًا: الصحراء والحلم

تتحول الصحراء إلى سجن مفتوح، يعكس إحساس الشخصية بالوحدة والعجز بعد اختفاء صديقه (هادي) لأسباب غامضة، فيقول: "ولكن سرعان ما راودني حلم عابر وخاطف للحظات وكأني بالصحراء قد عادت لي مرة أخرى، وهي في وضح النهار دون شموع تكسوها هذه المرة، وجسمي يرتعش لوجود لقيط أشقر الشعر، أخضر العينين، ذي خد متورد.. يتقلب على لهيب رمضها المستعر.

- جسمي يحترق أنقذني! أنا أحترق! أرجوك أنقذني.. حاولت الاقتراب لمساعدته.. ولكن كلما اقتربت ازداد الخناق على عنقي بعنت مستمر... فتركته مرغمًا.. وهو يحترق كقطعة شواء منسية فوق الجمر..."(١)

يحمل الموقف المشهدي تناقضات رمزية قوية تجمع بين الصحراء القاحلة المميتة والطفل الأشقر ذي العينين الخضراوين، وهو يتقلب على لهيب الرمال. ولفهم أعمق لتلك الدلالات، يمكن تحليل الثيمات الموضوعاتية الكامنة في الصورة السابقة على النحو التالي:

١. الصحراء: العزلة والتيه الوجودي

- جاءت الصحراء في تلك الصورة لتكون معادلًا موضوعيًا للاغتراب، القسوة، والتحدي.
- تمثل الصحراء في هذه الصورة ساحة الاختبار، حيث يواجه صديقه هادي (اللقيط) مصيره وحيدًا، ويفشل البطل في مساعدته فيتركه يحترق فوق الجمر.
- الحرارة واللهيب يشيران إلى الاحتراق الداخلي، سواء أكان عذابًا نفسيًا أم تجربة تطهيرية.

---

(١) منيف، بين رفوف الغيب، ص ٥٨، ٥٩.

٢. (لقيط أشقر الشعر أخضر العينين): الآخر والغربة المزدوجة

• وصف الطفل بالأشقر ذو العينين الخضراوين غريب عن بيئته، مما يعكس اغترابه المزدوج، فهو لقيط، لا جذور واضحة له، مما يعمّق إحساسه بالضياع، كما أن ملامحه تجعله غريبًا عن تلك الصحراء، فلا يستطيع التأقلم معها، وتجسيد فكرة (اللقيط الغريب) توحي بالهوية المفقودة، والازدواجية بين الشرق والغرب.

٣. التناقض بين الجمال الجسدي والعذاب النفسي

• ملامح الطفل (الشعر الأشقر، العيون الخضراء) تحمل إيحاءات جمالية ونقاء براءة، لكنها تتناقض مع وضعه القاسي، حيث يحترق تحت لهيب الرمال.

• يعكس هذا المشهد صراع البطل بين الجمال الروحي والمعاناة الجسدية، وبين الضعف والقوة في مواجهة قسوة الواقع.

لقد جاءت الصحراء في هذه الصورة لتكون رمزًا للحرمان الروحي الذي يعانيه البطل قبل وصوله إلى الحقيقة، ويمكن اعتبار صورة الطفل بأنها روح تبحث عن حقيقتها، تتقلب بين الألم والخلاص وتريد التطهير من الماضي المجهول عبر هذا الاحتراق الداخلي؛ لتعكس ازدواجية الجمال والألم، الهوية والضياع، التيه والبحث عن الذات.

لقد صور السارد الفضاء الصحراوي بوصفه معادلًا نفسيًا للاغتراب، إذ تمثل الصحراء المجهول والخوف من الفناء، مما يعكس مشاعر القلق الوجودي التي يعاني منها البطل، وتعد العزلة النفسية والاغتراب من أبرز الثيمات في الرواية، حيث يتم توظيف الصحراء باعتبارها فضاء رمزي

يعكس حالة الفراغ النفسي الذي تعانيه الشخصية الرئيسة، بينما يعكس الاغتراب صراع الهوية وعدم القدرة على التكيف مع المجتمع، ولقد نجح الروائي محمد منيف في تقديم تصوير مشهدي لحالة الانفصام التي يعانيها بطل الرواية، من خلال الجمع بين التأمل في الذات والصراع مع المجتمع ونظرات الآخرين لتلك الشخصية.

المبحث الثاني

الصحراء والبحث عن الذات

إن توظيف المكان يكشف عن شبكة من العلاقات التي تربط الشخصيات بالمجال المعيشي ارتباط وجود وانتماء وهوية،[١] والبحث عن الذات بالفضاء الصحراوي؛ يعكس رغبة الإنسان في فهم هويته ومعنى وجوده، وتحقيقها في الوقت نفسه تحقيق لوجوده، حيث تتحول الصحراء إلى رحلة داخلية تعكس اضطراب الهوية والانتماء، إذ تمثل الصحراء في رواية بين رفوف الغيب مرحلة انتقالية يعيشها البطل بين فقدان الهوية والبحث عنها، وتتمظهر الصحراء إلى عدة ثيمات موضوعاتية تمثل البحث عن الذات، ومواجهة البطل لمخاوفه الداخلية وإعادته التفكير في ذاته بحثًا عن الحقيقة.

أولاً: الصحراء وصراع الغربان مع الحمامة

يحاول الروائي تجسيد الصحراء بوصفها فضاء للبحث عن الذات المتشظية بفراق أصدقائه ووصوله إلى أرض الوطن، وتصويره للمشهد بقوله: "وفجأة ظهر أمامي منظر الصحراء وقد.. كانت بعض الغربان السوداء صاحبة السيادة.. والمسيطرة على المكان، فقد كانت تنهش في حمامة بيضاء.. وقد كان ريش تلك الحمامة يعود من جديد كلما حاولت تلك الغربان نزعه أملًا في الانقضاض عليها، وهديلها يوحي باستغاثة ما..."[٢]

يحمل هذا المشهد أبعادًا رمزية غنية تعكس صراعًا بين قوى متضادة: النقاء والتلوث، الحياة والموت، الأمل واليأس، ويمكن قراءته ضمن الثيمات التالية:

---

(١) ينظر، مونسي، حبيب. فلسفة المكان في الشعر العربي (قراءة موضوعاتية جمالية) منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق. ٢٠٠١م، ص٧١.

(٢) منيف، بين رفوف الغيب، ص ٧٥.

١. الصحراء: فضاء العزلة والاختبار الوجودي

فالصحراء ليست فضاء مكاني فحسب، بل رمز للخلاء النفسي والوجودي، حيث يواجه الإنسان نفسه دون حماية، إذ تمثل الصحراء مكان التطهير والاختبار، حيث يخوض البطل رحلة للبحث عن الحقيقة، كما تعد الصحراء فضاء للمقاومة والصراع الداخلي، حيث يتصارع البطل مع قوى الطبيعة والقدر، وكان هذا المشهد بمثابة ساحة للصراع الرمزي بين الخير والشر، حيث لا شيء يخفف القسوة سوى الأمل الذي تجسده الحمامة.

٢. الغربان السوداء: رمزية الموت والقوى الظلامية

الغربان السوداء غالبًا ما ترتبط بالشر، الخراب، والموت. وفي هذا المشهد، هي قوى معتدية تحاول التهام الحمامة البيضاء، لكنها تفشل في القضاء عليها تمامًا، وتمثل الغربان مخاوف اللاواعي التي تطارد بطل الرواية وتحاول تدميره، لكنها قد تعكس أيضًا جزءًا من الذات في محاولة السيطرة على النقاء الداخلي (الحمامة)، وعليه فالغربان هنا ليست طيور جارحة فحسب، بل تمثل قوى الشر والعدوان، سواء على المستوى الفردي أو المجتمعي.

٣. الحمامة البيضاء: رمز النقاء المتجدد والمقاومة الروحية

تحمل الحمامة البيضاء دلالة السلام، والروحانية، والبراءة، وهي في هذا المشهد، ضحية لقوى شريرة تحاول افتراسها، ولكنها تستعيد ريشها كل مرة، مما يعكس مقاومتها المستمرة، فالحمامة هي صورة للبراءة المغتصبة وتصوّر الضعف والقوة في آن واحد، إذ تمثل الأمل الداخلي والرغبة في التطهر، رغم الألم والهجوم المستمر، وجسد الروائي الحمامة في صورة كائن يمثل رمز المقاومة على الرغم من المعاناة والاضطهاد، حيث تجدد نفسها باستمرار رغم العنف الذي تتعرض له.

٤. الريش المتجدد: عامل الاستمرارية رغم الألم

إن إعادة نمو الريش في كل مرة تحاول الغربان انتزاعه تعطي المشهد بعدًا سحريًا، ويرمز إلى التجدد الروحي بعد كل محنة، ويدل على إرادة الحياة التي لا يمكن سحقها، كما أنه يعكس فكرة المرونة النفسية، أي قدرة البطل على التعافي من الصدمات والتجارب المؤلمة؛ لذا لم يكن الصراع في هذا المشهد بين الخير والشر فحسب، بل بين الفناء والتجدد، وبين القهر والمقاومة.

٥. الهديل والاستغاثة: دلالة على الصوت الذي لا يُسمع

تهدل الحمامة بصوت يوحي بالاستغاثة، لكنه لا يجد من يستجيب. وتحمل هذه الصورة دلالات فنية قوية:

- قد يكون صوت الحمامة نداءً للحق أو للحقيقة وسط عالم أصمّ.
- ويمكن قراءة هذا المشهد بوصفه صورة لمجتمع مضطهد، حيث تستغيث القيم النقية لكنها لا تجد من ينقذها.
- تعكس الاستغاثة الألم الداخلي الذي يظل مكتومًا ولا يجد صدى، فهي تعبير عن ألم مكبوت، وعن مقاومة مستمرة رغم التجاهل والصمت المحيط.

وعليه يعكس هذا المشهد صراعًا بين قوى متناقضة: الخير والشر، الحياة والموت، الطهر والتلوث. لكنه في النهاية يمثل مأساة متجددة، ويحمل إشارة إلى الأمل والاستمرارية، لأن الحمامة لا تفقد وجودها رغم العنف المستمر.

ثانيًا: الهروب والتحرر في فضاء الصحراء

يصف البطل مشهد لقائه بصديقه هادي في أرض الوطن، وتحول خوفه إلى الاطمئنان، ولكن " تسارعت النبضات مجددًا.. وعاد إليّ منظر الصحراء القاحلة، وإذا بتلك الحمامة.. قد حلقت مبتعدة وهاربة من مخالب الغربان

القاتلة أخيرًا"[١]

هذا المشهد يستكمل السرد الرمزي السابق، حيث تتحول الصحراء من فضاء مغلق للصراع والموت إلى فضاء مفتوح للهروب والخلاص، وانسحاب الحمامة ونجاتها يفتح باب التأويل حول دلالات الحرية، الخلاص، والمقاومة في مواجهة قوى الظلام والشر على النحو التالي:

١. الصحراء: من مكان للاختبار إلى فضاء للتحرر

في البداية، كانت الصحراء فضاءً قاحلًا تتحكم فيه الغربان، مما جعلها رمزًا للعزلة والقسوة والاضطهاد. لكن مع هروب الحمامة، تتحول الصحراء إلى فضاء مفتوح يمنح فرصة للتحرر والانطلاق، وتوحي بعدد من الدلالات:

- الصحراء مكان للاختبار الوجودي، حيث يواجه الفرد ذاته قبل أن يقرر مصيره.
- الصحراء فضاء للخلاص الروحي والتجرد من قيود المادة.
- الصحراء مكان للتيه والمحنة، لكنها أيضًا تحمل الوعد بالخلاص لمن يجيد قراءتها والتأقلم مع قسوتها.
- بدت الصحراء في هيئة سجن، ثم انقلبت إلى بوابة نحو الحرية وتحقيق الذات.

٢. الحمامة: من الضحية إلى الكائن المتحرر

كانت الحمامة في بداية المشهد، محاصرة في دائرة من العنف، لكنها في النهاية تتمكن من الهروب، مما يعكس تحولها من كائن مستضعف إلى رمز للنجاة والانتصار على الموت، فالحمامة هنا تمثل الكائن القادر على النجاة وإعادة تعريف مصيره بنفسه، وتوحي بالدلالات التالية:

- الحمامة يمكن أن تمثل الروح التي تتحرر من القيود الأرضية بعد معاناة

(١) منيف، بين رفوف الغيب، ص ٨١.

طويلة.

- هروبها يعكس تحرر الذات من صراعاتها الداخلية وعبورها نحو مرحلة جديدة من النمو النفسي.
- ترمز الحمامة إلى شخصية (هادي) المضطهدة والتي نجحت أخيرًا في كسر قيدها وتحقيق حريتها.

٣. الغربان: القوى الظلامية التي تفقد سيطرتها

في المشهد الأول، كانت الغربان لها السيادة والتحكم بالمكان، وتنهش الحمامة وتحاول افتراسها، لكنها تفشل في النهاية في القضاء عليها، فالغربان غالبًا ما تمثل القوى القمعية التي تحاول تدمير الأمل والنقاء لكنها لا تنجح دائمًا، وقد ترمز الغربان إلى مخاوف البطل الداخلية التي تطارده، لكنها لا تتمكن من السيطرة عليه نهائيًا، ثم تفشل الغربان في القضاء على الحمامة لتعكس نتيجة ضعف الشر أمام الإصرار على النجاة، حيث لا يمكن للقوة الغاشمة أن تنتصر على إرادة الحرية.

٤. الطيران والهروب: رمزية الانعتاق والتحرر النهائي

يعبر الطيران عن الخلاص والحرية والانعتاق من القيود، فالحمام غالبًا ما يمثل الأرواح الطاهرة التي تنطلق نحو السماء بعد تجاوزها محنتها الأرضية، والطيران يرمز إلى التحرر من العوائق النفسية والانطلاق إلى آفاق جديدة من الوعي الذاتي، لذا كان تحليق الحمامة بعيدًا عن الصحراء والغربان يمثل التحرر النهائي من كل أشكال الظلم، سواء كان ماديًا أم نفسيًا أم روحيًا.

وهذا المشهد لا يصور الهروب من الموت فقط، بل يمثل انتصارًا رمزيًا على كل قوى القهر والاضطهاد، فالصحراء لم تعد سجناً، والحمامة لم تعد ضحية، والغربان لم تعد قوة مطلقة. هناك تحول في المشهد يعكس انتقالًا

من الألم إلى الأمل، ومن الخوف إلى الحرية، ومن الاضطهاد إلى الانعتاق.

ثالثًا: الصحراء السوداء والسماء الملتهبة

إن البحث عن الحقيقة جعل (محمدًا) بطل الرواية يسعى جاهدًا في محاولة التحقق من أسباب اختفاء صديقه (هادي) في بريطانيا وما سبب عودته إلى وطنه، وفي أثناء عرض هادي لتفاصيل اختفائه يصاب محمد بالهذيان وتتكون صورة الصحراء أمامه من جديد "وكأنها قد أصبحت مكسوة بأشجار سوداء اللون، كثيفة الأوراق، فارعة الطول! والسماء ملتهبة من فوقها وكأن النيران قد دبت فيها شيئًا فشيئًا.."[١]

هذا المشهد ينقل صورة رمزية مشحونة بالعواطف، حيث تتحول الصحراء من فضاء تقليدي للقحط والجفاف إلى عالم مشبع بالمفارقات والتناقضات، فاللون الأسود يمثل شدة كثافة الأشجار، والطول الفارع يحجب ضوء الشمس، والسماء المشتعلة، تخلق هذه الصور مجتمعة جوًا مشحونًا بالرهبة والرمزية، مما يجعله مشهدًا مفتوحًا على عدة تأويلات.

١. الصحراء فضاء التحول والاضطراب

ترتبط الصحراء بالفراغ والجفاف، لكنها في هذا المشهد مليئة بأشجار سوداء، مما يكسر الصورة النمطية لها، وهذا التحول يرمز إلى حالة من التغير العنيف في نفسية البطل ويصبح المعتاد غريبًا ومقلقًا، وتعكس هذه الصحراء حالة الضياع التي تعري بطل الرواية وتجعله في عالم مشوّه تتغير فيه الأشياء دون تفسير منطقي.

إن الصحراء غالبًا ما تكون فضاء للبحث عن الحقيقة الروحية، ولكنها عندما تصبح مشبعة بالسواد والنيران، فإنها تمثل تجربة قاسية من المعاناة وتعكس الاضطراب النفسي والتحولات العميقة في أرض الواقع.

---

(١) منيف، بين رفوف الغيب، ص ٩٠.

٢. الأشجار السوداء: الغموض والقوى المجهولة

إن اللون الأسود للأشجار يخالف صورتها المعتادة بوصفها رمز للحياة والخصوبة، مما يمنحها بُعدًا غامضًا ومخيفًا، فالأشجار السوداء توحي بقوى خفية أو غير مرئية، وطولها الفارع يشير إلى سيطرتها على المشهد، وكأنها تحاول احتلال المكان وسلبه من طبيعته الصحراوية، فهذه الأشجار السوداء ترمز للموت، والخطر الكامن، أو القوى الغيبية التي تحيط بالبطل وتحد من حريته.

٣. السماء الملتهبة: نهاية أم بداية جديدة

النيران التي تشتعل تدريجيًا في السماء تضيف بُعدًا رمزيًا لـــ (نهاية العالم)، مما يرمز إلى دمار وشيك أو ولادة جديدة من قلب الحريق، والسماء الملتهبة تعكس انفجارًا داخليًا عند الشخصية المحورية، حيث يعكس العالم الخارجي ما يدور في أعماق صدره، وترمز النار إلى التطهير والاختبار النهائي، حيث لا يولد النقاء إلا بعد المرور بالمحنة الكبرى، لذا جاءت السماء الملتهبة لتكون علامة على تعقد الأحداث وتشابكها وإشعار ببداية الانفراج والحل، فهي تعكس صراعًا داخليًا وانفجارًا وجوديًا يغير كل مجرى الأحداث وتسلسها.

رابعًا: الصحراء بين الحلم والواقع

يأتي المشهد الأخير للصحراء في الفصل (١٣) من الرواية بعد معرفة الشخصية المحورية لحالته النفسية وأنه مصاب بانفصام الشخصية، فيصور منظر الصحراء "ولكن بشكل مغاير هذه المرة فالسماء في حالة تقلب مستمر.. ورياح متناوحة هيجت وجهي بصفعاتها المباغتة.. لتريني (علي) منتصبًا أمامي، رفقة ابتسامته الخجول تلك، وقد خالفت هيئته الرثة وثوبه الملبّد بالدم. تلك الابتسامة! وكأني أراه يبتعد من أمامي متراجعًا.. مددت يدي

علّها تصل إليه، ولكن دون جدوى.. حينها أجهشت بالبكاء بشدة.. حتى استيقظت من تلك الغيبوبة..."[١]

هذا المشهد يعكس حالة الاضطراب النفسي العميق، حيث تتحول الصحراء من فضاء جامد إلى بيئة ديناميكية مليئة بالحركة والتغير، فالسماء المتقلبة والرياح العاصفة ترمز إلى حالة من الفوضى الداخلية والتوتر النفسي، في حين أن ظهور صديقه (علي) في هيئة متناقضة بين الابتسامة وثوبه الملطخ بالدم يعكس التشابك بين الذكرى، والفقد، والإحساس بالعجز، وكانت النهاية تتمثل في البكاء والاستيقاظ من الغيبوبة تضيف بعدًا إضافيًا يعزز التوتر بين الحلم والواقع، بين الصدمة والتقبل.

١. الصحراء مسرح للتحولات النفسية

- لم تكن الصحراء خلفية محايدة، بل بيئة متغيرة تعكس الصراع الداخلي للشخصية.
- جاءت الرياح والسماء المتقلبة لتعطي إحساسًا بعدم الاستقرار، وكأن العالم الخارجي يعكس اضطراب الشخصية نفسها.
- تلك الأماكن الشاسعة مثل الصحراء والسماء كثيرًا ما ترمز إلى اللاوعي، حيث يواجه الإنسان مخاوفه الداخلية دون حواجز.
- الصحراء قد تكون فضاءً اختباريًا، حيث يتم وضع الشخصية أمام مواقف وجودية تكشف حقيقتها الداخلية، لذا الصحراء هنا ليست مكانًا فارغًا، بل حقل نفسي يموج بالتوتر والاضطراب، ويجبر الشخصية المحورية على مواجهة الحقائق.

٢. الصديق بين الحياة والموت: رمزية الفقد والصراع مع الذكرى

- ظهور صديقه (علي) مع ابتسامة خجولة وهيئة رثة ملطخة بالدم يخلق

(١) منيف، بين رفوف الغيب، ص ١٢١.

تناقضًا صارخًا بين الحياة والموت، الألفة والرعب، الذكرى والواقع.

- الابتسامة تعطي إحساسًا بالحنين أو الصفح، في حين أن الملابس الملطخة بالدم تشير إلى المعاناة ومرارة الفقد الذي لم يتم تجاوزه بعد.
- الأشخاص الذين يظهرون بهذه الطريقة غالبًا ما يمثلون أشباح الماضي التي تعيش داخل الإنسان، والتي تطارده بين الحلم والواقع.
- إن ظهور الصديق يمثل رمزًا للشعور بالذنب، أو الخسارة غير المعالجة، أو حتى جزءًا من الذات التي تم قمعها في اللاوعي، وتجسيد للصراع الداخلي بين الحنين، الفقد، وعدم القدرة على التصالح مع الماضي.

٣. محاولة اللمس والفشل: العجز أمام الحقيقة

- مدّ اليد نحو الصديق يعكس الرغبة في التواصل مع الماضي أو إصلاح ما لا يمكن إصلاحه.
- الفشل في لمسه يكرّس الإحساس بالعجز والانفصال، وكأن هناك حاجزًا غير مرئي بين الشخصية وما تحاول الوصول إليه.
- إن هذه الحركة تعكس محاولة استعادة شخص مفقود، أو التمسك بوهم لن يعود، أو رفض تقبل الحقيقة.
- يذّكر هذا المشهد بمحاولة الإمساك بالسراب في الصحراء، مما يعزز الطابع الرمزي للحلم باعتباره فضاء للخداع الذاتي والتوق المستحيل، لذا كانت محاولة (محمد) لمس صديقه (علي) تعبر عن رغبته في استعادته، لكنها تؤكد أيضًا استحالة ذلك، مما يعمّق الإحساس باليأس والعجز.

٤. البكاء والاستيقاظ: النهاية وإعلان الحقيقة

- البكاء رمزٌ لانهيار الحاجز بين الحلم والواقع، حيث تدرك الشخصية المحورية أن صديقها لم يعد موجودًا فعليًا.

- الدموع غالبًا ما تعكس القبول التدريجي للحقيقة، أو لحظة المواجهة مع الذات.
- الاستيقاظ من الغيبوبة يضيف بعدًا جديدًا، إذ يجسد الحلم الناتج عن فقدان الوعي، والغيبوبة التي كانت جسرًا بين عالمين: عالم العقل الباطن حيث يحضر الصديق، وعالم الواقع إذ لم يعد له وجود.

يمثل هذا المشهد لحظة انكسار الوهم، حيث يعود البطل إلى وعيه محملاً بإدراك جديد للحقيقة، فقد كان البكاء والاستيقاظ من الغيبوبة يرمزان إلى لحظة مواجهة الحقيقة، حيث لا يمكن الهروب من الماضي أو تغييره، بل فقط تقبله والاستمرار في الحياة، ويقدم هذا المشهد رؤية قوية عن الاغتراب النفسي والصراع مع الفقدان، حيث تصبح الصحراء مرآة للذات، والصديق تجسيدًا لماضٍ لم يتم تجاوزه، والاستيقاظ من الغيبوبة لحظة تصالح مؤلمة مع الواقع.

برزت الصحراء في صورة فضاء ديناميكي يتجاوز كونه خلفية مكانية، ليصبح عنصرًا جوهريًا يعكس التناقضات النفسية في الرواية، فقد صور الروائي الصحراء في البداية مكسوة بالشموع التي لم يطفئها المطر، مما يعكس صراعًا بين القسوة والرقة، والفناء والبقاء، واليأس والأمل، وكأنها ترفض الخضوع للقوانين الطبيعية المعتادة. ثم تحولت إلى فضاء يحفل بالحلم والغرابة، حيث ظهر اللقيط الأشقر يتقلب على لهيبها، في إشارة إلى الضياع، العزلة، والبحث عن الهوية في وسط محيطٍ معادٍ وغير متجانس.

وفي تطور لاحق، أصبحت الصحراء مسرحًا لصراع بين الحياة والموت، كما تجلى في صورة الحمامة التي تنهشها الغربان دون أن تفنى، في إشارة إلى الأمل المستمر رغم التهديد المتكرر، وكأن الحياة ترفض الاستسلام مهما اشتدت قوى الفناء. ومع تطور الصور، تلبست الصحراء

حلّة سريالية قاتمة، حيث أشجار سوداء تملأ الفضاء وسماء ملتهبة تتغير تدريجيًا، في تعبير عن اضطراب داخلي يعكس تحولات النفس وسط عالم يتغير بشكل غير مفهوم.

أما المشهد الأخير، فقد جسدت الصحراء مساحة مواجهة شخصية، حيث وجدت الشخصية نفسها أمام صديقها الذي يظهر بهيئة متناقضة بين الابتسامة وثوبه الملطخ بالدم. لقد كانت الصحراء هنا مسرحًا للذكرى والحنين، لكنها أيضًا فضاء للعجز، حيث لا يمكن استعادة ما فُقد، ولا يمكن تجاوز حدود الواقع حتى في الأحلام. كانت محاولة لمس الصديق تعكس رغبة مستحيلة في الإمساك بالماضي، بينما كان الاستيقاظ من الغيبوبة لحظة مواجهة الحقيقة والعودة إلى عالم لا مجال فيه للهروب من الفقدان.

وأخيرًا تكشف هذه الصور المتنوعة أن الصحراء ليست فضاء جغرافي فحسب، بل تمثيل رمزي لتحولات الذات، وصراعاتها بين الاغتراب والبحث عن المعنى. بين الشموع التي تقاوم المطر، والحمامة التي ترفض الفناء، والسماء التي تحترق ببطء، والصديق الذي لا يمكن لمسه، تتشكل صورة الصحراء كفضاء يحوي الألم والأمل معًا، الوحدة والبحث، الحلم والانكسار. إنها ليست مجرد صحراء، بل مساحة تعكس أعمق صراعات الإنسان مع نفسه ومع العالم.

❁❁❁

الخاتمة

يتمظهر البحث في تمثلات الفضاء الصحراوي في رواية بين رفوف الغيب باستخدام آليات المنهج الموضوعاتي عن جملة من النتائج المتمثلة في الثيمات الدلالية للصحراء بكونها أكثر من فضاء مكاني، فهي مرآة تعكس التحولات النفسية والاجتماعية والفكرية، حيث تجلت في عدة صور تعبيرية تعكس أبعادًا متعددة من الاغتراب، العزلة، والصراع الوجودي.

لقد برزت الصحراء في صورتها الأولى في هيئة مكان متناقض يجمع بين الثبات والتحول، كما تجلى في مشهد الشموع التي لم يطفئها المطر، حيث شكلت الصحراء رمزًا للاستمرار رغم التحديات، مما يعكس صراع الإنسان مع قوى الفناء والبقاء. أما في صورة اللقيط الأشقر المتقلب على لهيب الرمال، فقد ظهرت الصحراء بوصفها فضاء للضياع وفقدان الهوية، حيث يعاني الفرد من التمزق بين الانتماء والاغتراب في بيئة قاسية وغير مرحِّبة.

ومع تقدم الصور، أصبحت الصحراء مسرحًا للمواجهة بين الحياة والموت، كما تجسد في مشهد الحمامة التي تنهشها الغربان دون أن تفنى، مما يعكس طبيعة الوجود الإنساني بين الألم المستمر والأمل المتجدد. كما تلبست الصحراء طابعًا كابوسيًا في مشهد الأشجار السوداء والسماء المشتعلة، حيث أصبحت تمثل اضطرابات النفس البشرية والصراعات الداخلية.

أما الصورة الأخيرة، حيث يظهر الصديق الميت بملابس ملطخة بالدم لكنه يبتسم، فقد وضعت الصحراء في دائرة الفقدان والذكرى والحنين. وفي هذا المشهد، كان المكان تجسيدًا للرغبة المستحيلة في استعادة الماضي، والتصادم مع حتمية الفراق، حيث يختزل الحلم العلاقة المعقدة بين الواقع

والرغبة، بين الحاضر والماضي، بين الممكن والمستحيل.

أظهر تحليل هذه الصور أن الصحراء ليست فضاء جغرافي، بل رمز متحول يحمل دلالات نفسية وفلسفية عميقة. فهي مكان للعزلة والاغتراب، لكنها أيضًا فضاء للبحث عن الذات، مكان للقسوة لكنه أيضًا يحمل بذور الحياة والمقاومة. كما أنها مسرح للتناقضات الوجودية، حيث تتقاطع فيها حدود الموت والحياة، الأمل واليأس، الحلم والواقع.

تبين أن الصحراء تتغير دلالتها وفق السياقات المختلفة داخل النصوص الروائية. ففي بعض الأحيان، تكون مكانًا للخلاص والتأمل، وفي أحيان أخرى تتحول إلى فضاء للكابوس والضياع النفسي. كما أن دلالتها تتداخل مع الشخصيات والأحداث، بحيث تصبح عاملاً أساسيًا في بناء المعنى بدلاً من كونها مجرد خلفية مكانية.

جاءت الصحراء في تلك الرواية باعتبارها مفهوم متحرك يعكس أزمات الإنسان المعاصر، حيث تتنوع دلالاتها بين العزلة، والاغتراب، والبحث عن الذات، والصراع الوجودي، والمقاومة، وعن طريق تفكيك هذه الدلالات تبين كيف أسهمت صور الصحراء في تشكيل البنية السردية والبعد النفسي للنص الروائي، واستكشاف عمق هذه العلاقة بين الإنسان والمكان.

التوصيات:

في ضوء ما كشف عنه التحليل الموضوعاتي للفضاء الصحراوي في رواية العربية بين رفوف الغيب، توصي هذه الدراسة بضرورة إعادة النظر في تناول المكان الصحراوي في النقد الأدبي العربي، حيث يجب ألا يُعامل بوصفه مكانًا جامدًا، بل فضاء رمزي مشحون بالدلالات النفسية والفكرية.

ومن زاوية أخرى، توصي الدراسة بضرورة التوسع في الأبحاث البينية التي تربط بين الأدب والفلسفة وعلم النفس، خصوصًا في تحليل العلاقة بين

الصحراء والتحولات الداخلية للشخصيات الروائية. إذ أن كثيرًا من المشاهد التي دارت في فضاءات صحراوية تعكس أزمات وجودية وصدمات داخلية لا تنفصل عن التجربة الإنسانية العامة.

كما تحث الدراسة على إجراء مقارنات بين الأدب العربي ونظيره العالمي في توظيف الصحراء، مثل مقارنة توظيفها في أعمال إبراهيم الكوني والطيب صالح، مع الكيفية التي حضرت بها في نصوص ألبير كامو أو سانت – إكزوبيري. فهذه المقارنات تكشف عن اختلاف الرؤى الفلسفية، والتقنيات السردية، واختلاف السياقات الحضارية في التعامل مع المكان.

وفي الإطار الأكاديمي، توصي الدراسة بدمج موضوع "الصحراء والهوية" ضمن مقررات النقد الأدبي في الجامعات، لا سيما في المساقات المعنية بالسرديات والرموز والفضاء الروائي، لما للصحراء من أثر عميق في تشكيل بنية الشخصية ومعناها الوجودي في النصوص الأدبية.

وأخيرًا، تدعو الدراسة إلى استلهام رمزية الصحراء في الفنون البصرية المعاصرة، مثل المسرح والسينما والشعر، حيث تحمل الصحراء إمكانيات تعبيرية هائلة يمكن توظيفها في معالجة قضايا الإنسان، الهوية، والصراع الداخلي، بصريًا ودراميًا. كما توصي بإنشاء أرشيف رقمي خاص بروايات "الصحراء"، يُسهم في توثيق هذا الحضور الأدبي وتحليله باستخدام أدوات البحث الموضوعاتي المحوسبة، للكشف عن الأنماط الكبرى في علاقتها بالتحولات النفسية والرمزية في السرد العربي الحديث.

المراجع

١- بارجاس، دانيال. مدخل إلى المناهج النقدية في التحليل الأدبي. تحرير وآخرون : بيار بربريس، بيار مارك، مرسال مريني، جيزال فلنسي. ترجمة لصادق قسومة. الرياض: جامعة الإمام، ١٤٢٩ هـ.

٢- باشلار، غاستون. جماليات المكان. ترجمة غالب هلسا. المجلد الثانية. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٤م.

٣- حسن، عبد الكريم. المنهج الموضوعي. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٠م.

٤- حسن، عبد الكريم. نقد المنهج الموضوعي، مجلة الفكر العربي المعاصر، بيروت، لبنان، ع٤٤،٤٥، أبريل ١٩٨٧م، ص٣٩- ٤٨.

٥- الديوب، سمر، الثنائيات الضدية بحث في المصطلح ودلالته، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، سوريا، ط١، ٢٠١٧م.

٦- راستيي، فرانسوا. فنون النص وعلومه. ترجمة إدريس الخطاب. المجلد ١. الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ٢٠١٠ م

٧- شعبان، عادل هنداوى. تجليات الاغتراب في رواية الحب في المنفى لبهاء طاهر. فيلولوجى: سلسلة الدراسات الأدبية واللغوية، ٢٠١٧م، ٣٤.٦٧: ٦٥-٨٦.

٨- صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٨٢م.

٩- صيفي، عفاف، عاشور، عمر. الصحراء في الرواية الجزائرية الحديثة بين الواقعي والعجائبي، اللغة العربية، منصة المجلات العلمية الجزائرية، مج ٢٧، ع١، ٢٠٢٥م، ص ٢٥٧-٢٧٤.

١٠- علوش، سعيد. النقد الموضوعاتي. المغرب: شركة بابل للطباعة والنشر، ١٩٨٩م

١١- فروم، إريك، الهروب من الحرية، ترجمة محمود الهاشمي، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط١، ٢٠٠٩م.

١٢- كريستي، أجاثا، الجرائم الأبجدية، ترجمة علي الجوهري، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ١٩٩٩م.

١٣- لحمداني، حميد. بنية النص السردي، من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١م

١٤- المفلح، عبد الله بن محمد. الحب والحرب في رحلة البحث عن الخلاص: دراسة موضوعاتية في ديوان "سقط سهوا"." جامعة عين شمس – كلية الألسن، ع ٦١ يناير، ٢٠١٤ م: ٦٤ -١١١

١٥- منيف، محمد خالد، رواية بين رفوف الغيب، نادي نجران الأدبي الثقافي، السعودية، ط١، ٢٠١٧م.

١٦- مونسي، حبيب. فلسفة المكان في الشعر العربي (قراءة موضوعاتية جمالية) منشورات اتحاد الكتاب العرب. دمشق. ٢٠٠١م

١٧- وغيلسي، يوسف. مناهج النقد الأدبي: مفاهيمها وأسسها وتاريخها وروادها وتطبيقاتها العربية، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، ط١، ٢٠٠٧م.

References

1-Vargas, Daniel. Introduction to Critical Approaches in Literary Analysis. Edited by Pierre Barbéris, Pierre Marc, Marcel Merini, and Gisèle Frency. Translated by Sadek Kassouma. Riyadh: Imam University, 2008.

2-Bachelard, Gaston. The Poetics of Space. Translated by Ghaleb Helsa. Vol. 2. Beirut: University Foundation for Studies, Publishing, and Distribution, 1984.

3-Hassan, Abdul Karim. The Thematic Method. Beirut: University Foundation for Studies, Publishing, and Distribution, 1990.

4-Hassan, Abdul Karim. “Critique of the Thematic Method.” Contemporary Arab Thought Journal, Beirut, Lebanon, no. 44-45 (April 1987): 39–48.

5-Al-Diyoub, Samar. Oppositional Dualities: A Study of Term and Significance. 1st ed. Syria: Islamic Center for Strategic Studies, 2017.

6-Rastier, François. Textual Arts and Sciences. Translated by Idris Al-Khattab. Vol. 1. Casablanca: Dar Toubkal for Publishing, 2010.

7-Shaban, Adel Hendawi. “Manifestations of Alienation in Bahaa Taher’s Love in Exile.” Philology: Series of Literary and Linguistic Studies 34, no. 67 (2017): 65–86.

8-Saliba, Jamil. Philosophical Dictionary. Beirut: Lebanese Book House, 1982

9-Sifi, Afaf, and Ashour, Omar. “The Desert in the Modern Algerian Novel Between Realism and the Fantastic.” Arabic Language, Algerian Scientific Journals Platform 27, no. 1 (2025): 257–274.

10-Alloush, Said. Thematic Criticism. Morocco: Babylon Printing and Publishing Company, 1989.

11-Fromm, Erich. Escape from Freedom. Translated by Mahmoud Al-Hashimi. 1st ed. Damascus: Syrian General Book Organization, 2009.

12- Christie, Agatha. The A.B.C. Murders. Translated by Ali Al-Jawhari. Cairo: Ibn Sina Library, 1999. –

13-Lahmidani, Hamid. The Structure of Narrative Text: From the Perspective of Literary Criticism. 1st ed. Beirut: Arab Cultural Center, 1991.

14-Al-Mifleh, Abdullah bin Mohammed. “Love and War in the Journey of Seeking Salvation: A Thematic Study of the Diwan Saqat Sahan.” Ain Shams University - Faculty of Al-Alsun 61 (January 2014): 64–111.

15-Munif, Mohammed Khalid. The Novel Bayna Rufuf al-Ghayb. 1st ed. Saudi Arabia: Najran Literary and Cultural Club, 2017.

16-Mounsi, Habib. The Philosophy of Space in Arabic Poetry (An Aesthetic-Thematic Reading). Damascus: Arab Writers Union Publications, 2001.

17-Waghilisi, Youssef. Literary Criticism Methods: Concepts, Foundations, History, Pioneers, and Arabic Applications. 1st ed. Algeria: Joussour for Publishing and Distribution, 2007.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	١٦٣٦
مدخل: النقد الموضوعاتي وأهميته في الدراسات الأدبية	١٦٤١
المبحث الأول: الصحراء فضاء العزلة والفراغ النفسي	١٦٤٨
المبحث الثاني: الصحراء والبحث عن الذات	١٦٥٨
الخاتمة	١٦٦٩
المراجع	١٦٧٢
فهرس الموضوعات	١٦٧٦